

## الملل بعد المتعة

منذ عقدين ونيف، أصبحت المناظرات التلفزيونية الشكل الأكثر دقة للصراع السياسي في الدول الديموقراطية. فبعد ان تحول التلفزيون اداة رئيسية للتعبير السياسي، صارت نسبة لا يستهان بها من المواطنين - المشاهدين تنتظر هذه اللحظة لتحسم وجهة اختيارها. وصار المرشحون انفسهم يحسبون الف حساب عند خوض هذه التجربة التي يفترض ان تبين في آن واحد خصوصية برنامجهم والقدرة التوحيدية لشخصيتهم: عليهم افحام الخصم لكن من دون اظهار شراسة مجانية، وعليهم كسب من لا يستهويه برنامجهم من دون خيانة قاعدتهم الاصلية. الا ان هذه الاهداف لا تتساوى بالضرورة. فعندما يكون للحظة السياسية طابع "تجمعي"، يقود التسابق نحو الوسط الى محو التواءات والى الاحجام حتى عن محاولة افحام الخصم.

هذا تحديداً ما حصل اول من امس في المناظرة بين المرشحين الى الانتخابات الرئاسية الفرنسية، جاك شيراك وليونيل جوسبان. فعلى رغم تبادل بعض الحجج، بدت المناظرة وكأنها مجرد مقابلة مزدوجة. فقد غابت عنها الحدة، الى حد انه لم تتخللها اي لحظة دراماتيكية، كما في المناظرات المماثلة، في 1974 و 1981 و 1988، او في المناظرة التي جرت عام 1982 بين رئيس الوزراء الاشتراكي لوران فايوس وزعيم المعارضة آنذاك جاك شيراك.

بهذا المعنى، جاءت المناظرة على نقيض الجو العام الذي خيم منذ اشهر وجعل الحملة الرئاسية ممتعة، حتى الثانية الاخيرة من الدورة الاولى. لكن يبدو ان المرشحين المنتصرين في هذه الدورة استهلكا زخمهما في صراعهما ضد النفس والاصدقاء. اما وقد جاء دور الخصم، فقد غابت العزيمة عند الاثنين معا: شراك الذي شعر انه على قاب قوسين او ادنى من الرئاسة يتصرف وكأنه يريد تجنب ادنى غلطة، فيما جوسبان لا يريد من المناظرة الا تأكيد وضعيته كما فاس (Challenger) عسى ولعل...

صحيح ان النقاش لم يخل من الاقتراحات العملية المستقاة من البرامج الانتخابية، خصوصا على لسان جوسبان الذي اعطى عن نفسه صورة السياسي الكفي. غير ان الطموح غاب تماما، كما قال شيراك. ولم يغب فقط عن خطاب المرشح الاشتراكي، بل عن كلام شيراك نفسه. وليس ادل على ذلك الا الحيز الضيق الذي تم تخصيصه للسياسة الدولية، بما في ذلك عملية البناء الاوروبي. هكذا لم يقل اي من المتبارزين كلمة واحدة عن النظام العالمي، في الوقت الذي كثرت التساؤلات عند النخب الفرنسية عن موقع فرنسا منه.

ربما كان الجواب في هذا الصمت: لا طموح ولا حتى تساؤل عن الطموح، لأن الحياة السياسية الفرنسية، وان تكن لا تزال قادرة على انتاج سياسيين من نوعية عالية مثل جوسبان وشيراك، لم تعد تحتاج الى رجال دولة.

وعندما يغيب رجال الدولة، يكون من المنطقي ان يغلب الملل، ولو بعد معركة ممتعة.